منظر العشاء الربانى من خلال بعض نماذج الحنايا فى الكنيسة القبطية المبكرة "دراسة تحليلية"

مارى ثابت ابراهيم نصيف(*)

باحثة ماجستير بقسم الآثار اليونانية والرومانية _كلية الآثار–جامعة القاهرة

ملخص البحث:

من خلال هذا البحث ستقوم الباحثة بدراسة منظر من أحدى اهم الموضوعات المسيحية التى تم تصويرها فى الفترة القبطية المبكرة وفى جميع الفترات بشكل عام وهو تصوير موضوع العشاء الربانى أو العشاء الأخير وذلك من خلال بعض نماذج الحنايا وذلك حيث أن الحنايا من أكثر العناصر أهمية فى الكنيسة سواء من الناحية الفنية أو الناحية الدينية فهى المكان الأكثر قدسية فى الكنيسة و تكون ايضاً المكان الأكثر زخرفة وهى وجهة المصليين فى الكنيسة لذلك تنجذب العين لها تلقائياً وبالتالى يكون هناك أهتمام كبير بالموضوعات المصورة عليها، وعلى الرغم من أهمية موضوع العشاء الربانى فى المسيحية لكنه من المناظر غير الشائع تصويرها على حنايا الكنائس لذلك فالامثلة على ذلك نادرة ومميزة وسيتناول البحث مقدمة عن سر العشاء الربانى و أصله و اهميته فى المسيحية و يليها دراسة وصفية لنموذجين لتصوير الموضوع على حنايا الكنائس القبطية فى الفترة المبكرة من المسيحية فى مصر ثم دراسة تحليلية للموضوع وفى نهاية البحث أهم النتائج التى تم التوصل اليها من خلال الدراسة.

الكلمات الدالة: العشاء الربانى – العشاء الأخير – الإفخارستيا– الحنايا – الكنيسة القبطية

مقدمة:

يعُد تصوير منظر العشاء الربانى فى الكنيسة القبطية أحد أهم الموضوعات فى الفن القبطى ويعكس هذا التصوير أهمية الحدث فى حياة المسيحين ولكنه كان شائع تصويره بالأكثر فى العصور الوسطى وعصر النهضة أكثر من الفترة المبكرة يمكن أن يكون ظهر فى الفترة المبكرة من المسيحية فى سردايب روما ولكن كان من الصعب التمييز بين تصوير العشاء الأخير والولائم الأخرى وفنانين العصور الوسطى قد أعتمدوا على ترجمة النصوص الإنجيلية فى تصويرهم للموضوع مثل عدد الحاضرين وترتيبهم وتكوين الغرفة والوقت حيثُ كان جميع الفنانين يمثلوا الموضوع فى المساء حيث كانت تصُور الغرفة

مغلقة ومضاءة بشعلة أو مصابيح معلقة وكانت تصُور المائدة بأشكال مختلفة مستطيلة أو بشكل نصف دائرى[1] وكان يتم تصوير الموضوع فى تجمعات الرهبان فى غرف الطعام [2] و يعتبر العشاء الربانى من أهم الممارسات فى الديانة المسيحية وحدث مسيحى مهم منذ بداية الكنيسة الأولى وهذا التقليد أستلمته الكنيسة من السيد المسيح نفسه و العشاء الربانى هو سر التناول و هو سر[3] من أسرار الكنيسة السبعة والتناول ليس فقط أحد أسرار الكنيسة بل هو السر الذى ينبع منه كل الأسرار لانه منه تنبع القوة الألهية اللازمة لكل سر فهو سر الأسرار جميعاً وهو محور حركة الحياة فى الكنيسة ووفقاً للعقيدة المسيحية يمثل العشاء الربانى تذكار تضحية السيد المسيح بنفسه من أجل الفداء وخلال هذا السر يتم تحويل الخبز وعصير الكرمة إلى جسد المسيح ودمه الحقيقيين وتم تأسيس هذا السر يوم خميس العهد وهو ما يعُرف بالخميس المقدس أو خميس الأسرار وهو عيد مسيحي وفى هذا اليوم تحتفل الكنائس المسيحية بتأسيس سر الإفخارستيا وهو أيضاً اليوم الذى غسل فيه السيد المسيح أرجل تلاميذه ووعظ فيهم بأن يحبوا بعضهم البعض كما أحبهم هو وترك لهم وصيته، وهو اليوم الخامس من أسبوع البصخة المقدسة يليه الجمعة العظيمة.

اولاً: الدراسة الوصفية:

مثال 1	
المصدر	حنية من كنيسة منحوتة فى الصخر فى وادى سرجة(الكنيسة الكهفية)
التأريخ	ما بين القرن السادس والثامن الميلادي.[4]
مكان الحفظ	كنيسة أبو سرجة (تبعد حوالى 25 كم جنوب مدينة أسوان الجديدة)[5]
نوع التصوير	فريسك
الوصف	تم الكشف عنها بواسطة تومسون عام 1914/1913م اثناء حفائر المتحف البريطانى فى وادي سرجة[6] رسمت صورة تناول الرسل على الجدار الشرقى فى تجويف الحنية (العشاء الأخير) يصور المسيح ككاهن خلال القداس يقف خلف المذبح ويتناول تلاميذه الخبز وعصير الكرمة [7] وفى طرف الأيمن من المذبح رسم لشخص يبدو وكأنه يستلم شيئاً ولا يوجد مكان فى الحنية الصغيرة لرسم جميع التلاميذ فتم الاكتفاء برسم البعض منهم بينما

	انتشرت صور الأخرين على طول واجهة الحائط فى الجانبين اليمنى واليسرى من المركز[8] فهو مثال فريد من نوعه وغير متكرر كثيراً يتم فيه تمثيل السيد المسيح فى الوسط حيث أنه الشخصية الرئسية فى المنظر ولكن للاسف تم تدمير وجه المسيح بالكامل ولكن يمكن التعرف عليه بسهولة من خلال الهالة النورانية المحيطة برأسه وبها صليب، يقف المسيح أمام المذبح ويرتدى ثوباً أحمر ويحمل الكأس المقدس والذى يبدو مختلفاً وكبير بعض الشئ وله مقبضين ويحتوى هذا المشهد على أقدم تمثيل لكرسى الكأس حيث تم توضيحه باللون الأصفر ووضعه على المذبح، ومن البارز هنا أن نذكر انه يوجد على المذبح جسم دائرى اصفر اللون على الأغلب هو الخبز المقدس.[9]

مثال2	
المصدر	حنية من الكنيسة الجنوبية بدير الأنبا ابوللو فى باويط اسيوط
التأريخ	القرن السابع الميلادى[10]
مكان الحفظ	الكنيسة الجنوبية بباويط
نوع التصوير	تمبرا
الوصف	يصُور المسيح والتلاميذ الاثنى عشر فى الحنية الرئسية للكنيسة خلف المائدة وهذا المشهد من المناظر النادرة جداً التى توضح تأسيس سر العشاء الربانى، ولكن لسوء الحظ قد تعرض هذا المنظر للاصلاحات والتخريب، وقد تم أنتاج لوحة بالألوان المائية وهى نسخة طبق الأصل بواسطة فلورنس بليد(Florence Baled) وهى تستند إلى صورة فوتوغرافية التقطها إميل شاسينات(Emile Chassiant) وتشارلز بالانك (Charles Palanque)اثناء الحفائر عام 1902 ميلادياً[11]. ويشير اليها والترز ايضاً ويصفها وصف مختصر" من الواضح أن القسم السفلى من الحائط الشرقى ينقسم إلى سلاسل من الصفوف التى يعلو بعضها البعض الأخر والتى تشغلها الزخارف الهندسية وفى أعلى اللوحة يوجد رسم للسيد المسيح على العرش وعلى جانبيه يقف التلاميذ بمعدل خمسة فى كل جانب

وأثنان أخران إلى جانبيه مباشرة وهذا الرسم غير سليم تماماً ولكنه يظهر لنا أن جميع التلاميذ تحيط برؤوسهم هالات نورانية وأن السيد المسيح كان ملتحياً ويلبس عباءة طولها يصل إلى الكعبين وتظهر فوق رأس المسيح مباشرة الأجزاء السفلية لشخصين واقفين بمعدل شخص واحد على كل جانب"[12] وفيما يلى شرح تفصيلى للمنظر، الجزء الأعلى فى وسطه دائرة كبيرة باللون الأبيض وأطارها محدد باللون الأحمر وفى داخلها دائرتين أصغر حجماً وفى كل جانب من الدائرة يقف شخصاً فى الجهة اليمنى يقف شخصاً يبدو من شكله انه كبير فى السن وجهه دائري وشعره قصير وأبيض وله لحية وشارب باللون الأبيض ايضاً وحول رأسه هالة نورانية يرتدي رداء ابيض اللون وفوقه عباءة تنسدل لونها أحمر ويمسك بيده عصا ينتهى طرفها بصليب ويرفع اليد الأخرى مشيراً بالاصابع الثلاثة ويثنى أصبعين، وفى الجانب الأيسر يقف شخصاً أكثر شباباً حيث أن شعره أسود اللون وقصير وله لحية وشارب باللون الأسود ايضاً، يرتدى نفس ملابس الشخص الأخر ويمسك ايضا بيده عصا تنتهى بشكل صليب واليد الأخرى تشير بالأصابع الثلاثة ويثنى الأثنين.

والجزء السفلى من الجدارية مصُور فيه السيد المسيح جالساً على كرسى بشكل أمامى وأمامه منضدة وعليها غطاء أبيض اللون، ويرتدى السيد المسيح رداء قاتم اللون، ويرفع يده بعلامة البركة ووجه دائرى وحول رأسه الهالة النورانية باللون الذهبى المميزة له بالصليبnimbusوشعره أسود قصير وله لحية سوداء متوسطة الطول وشارب أسود كثيف وعينه واسعتان، وعلى جانبى المسيح يقف التلاميذ الاثنى عشر على كل جانب ستة تلاميذ الجانب الأيمن يبدأ بتلميذ يحمل قطعة من القماش الأبيض وينحنى أمام السيد المسيح ويرتدى رداء أبيض متعدد الثنايا وفوقه عباءة منسدلة صفراء اللون وحول رأسه الهالة النورانية الذهبية وشعره أسود قصير ولحية سوداء وشارب أسود ثم التلميذ الثانى يظهر بشكل جزئى ويميل رأسه يرتدى رداء أبيض عباءة وردية اللون وحول رأسه الهالة النورانية الذهبية وجهه بيضاوى له شعر قصير أسود ولحية وشارب باللون الأسود ثم يقف التلميذ الثالث بشكل جانبى ويحمل فى يده شورية وبنفس تفاصيل الملابس رداء ذو ثنايا وعباءة فوقه وردية اللون منسدلة وحول رأسه الهالة وشعره أسود وقصير ولحية سوداء وشارب بسيط متصل باللحية من الجانبين ثم التلميذ الرابع يقف بشكل أمامى وبنفس تفاصيل الملابس

	والشعر ويحمل بيده الكتاب المقدس ويضمه إلى صدره ثم التلميذ الخامس يقف ايضاً بشكل أمامى ويحمل كتاباً تحت ذراعه يرتدى رداء أبيض وفوقه عباءة ذات لون رمادى ثم يقف التلميذ السادس ايضاً بشكل أمامى ويشير بيده اليسرى ويرتدى برداء أبيض وفوقه عباءة رمادية اللون. أما على الجانب الأيسر يقف الستة تلاميذ الأخرين يقف التلميذ الأول منهم منحنى بجانب السيد المسيح يحمل قطعة قماش ذات لون أبيض ويرتدى رداء أبيض وفوقه عباءة رمادية اللون وتحيط برأسه هالة ذهبية وينظر بشكل جانبى ووجهه مربع اللون وشعره ولحيته وشاربه باللون الأسود، ثم التلميذ الذى يليه وهو بطرس الرسول ونتعرف عليه من خلال المفتاح الكبير الذي بيده ويظهر فى هيئة رجل متقدم بالسن ويظهر ايضاً فى وضع الانحناء ويرتدى رداء أبيض وفوقه عباءة باللون البنى وتحيط برأسه الهالة النورانية الذهبية وشعره أبيض وقصير وله لحية بيضاء قصيرة وشارب أبيض كثيف وراء بطرس يظهر تلميذ من وجهه فقط و تحيط برأسه الهالة النورانية، ثم بعد بطرس الرسول يقف الثلاثة تلاميذ الأخيرة جميعهم بشكل أمامى وبنفس تفاصيل وألوان الملابس أحدهما يحمل شورية والأخر يحمل كتاباً.

ثانيا: الدراسة التحليلة:

1- أسماء العشاء الربانى:

1- العشاء الأخير: لانه أخر عشاء تناوله السيد المسيح مع تلاميذه.

2- العشاء السرى : لانه من أسرار الكنيسة السبعة.

3- مائدة الرب : المراد بالمائدة هنا الطعام الموضوع عليها مجازاً.

4- الإفخارستيا : وهى كلمة يونانية تعنى الشكر.

5- سر الشكر: يشكر المؤمن الرب على نعمته.

6- سر الشركة : يشترك المؤمنين فى ممارسة السر.

7- سر التناول : يتناول المؤمن جسد المسيح الأقدس.

8- عشاء الرب : (1كو 20:11).

9- كسر الخبز : (اع 42:2)، (اع 7:20).

2- تأسيس العشاء الربانى حسب الإنجيل:

تحتوى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثورس عن أول أشارة مكتوبة عن العشاء الأخير للرب يسوع مع تلاميذه قبل القبض عليه[13]"لاننى تسلمت من الرب ما سلّمتُكم ايضاً: إن الرب يسوع فى الليلة التى أُسلم فيها،أخذ خبزاً وشكر فكسر، وقال: "خُذوا كُلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم.اصنعوا هذا لذكرى" كذلك الكأس ايضاً بعَدما تعَشوا،قائلاً : "هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى.اصنعوا هذا كلما شَربتم لذكرى"[14] تتضمن رسالة بولس الرسول التالى :

السياق: تناول السيد المسيح العشاء الأخير فى الليلة التى سُلم فيها.

إيماءات يسوع : أخذ خبز وشكر وقسمه وأعطاه لتلاميذه وأخذ كأساً وشرب وقدمها لتلامذه.

كلمات يسوع : قال إن الخبز هو جسده الذى بذُل لأجلهم وامر تلاميذه بعمل ذلك لذكراه.

تكتسب هذة الرسالة أهمية خاصة كونها أول أشارة مكتوبة عن العشاء الربانى الذى تناوله السيد المسيح مع تلاميذه قبل صلبه وهذا العشاء يعُد أصل طقس القربان المقدس "التناول" [15]

ثم تقدم البشائر الأربعة حدث العشاء الربانى يمكن ان تختلف فى السياق ولكن كلها مشتركة فى أن يسوع أخذ الخبز وشكر وكسر وأعطاه لتلاميذه وأخذ كأس الكرمة وشكر وقدمه لتلاميذه

- إنجيل متى: " وفيما هُم ياكُلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: "خُذوا كلوا. هذا هو جسدى" أخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: "أشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا"[16]
- إنجيل مرقس: "وفيما هُم يأكلون، أخذ يسوع خبزاً وبارك و كسر وأعطاهم وقال: "خُذوا كُلوا، هذا هو جسدى" ثم أخذ الكأس وشَكَرَ وأعطاهم، فشَربوا منها كُلهُم . وقال لهم: "هذا هو دمى الذى للعهد الجديد،الذى يُسفك من أجل كثيرين".[17]
- إنجيل لوقا: "وأخذ خُبزاً وشكَر وكسَّر وأعطاهم قائلاً: "هذا هو جسدى الذى يُبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكرى" وكذلك الكأس أيضاً بعد العَشاء قائلاً: "هذة الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يُسفك عنكُم".[18]

وقد أصبحت نصوص هذا التأسيس جزء من الصلوات التى تُصلى فى الكنائس حتى اليوم.

3- العناصر المصورة فى العشاء الربانى ورمزيتها الفنية :

العشاء الربانى بشكل عام هو رمز للعهد الجديد الذى قطعه السيد المسيح مع تلاميذه

- السيد المسيح :يصُور المسيح دائماً فى مركز الصورة فى منتصف المائدة أو المذبح وسط التلاميذ ويكون فى الغالب مرتدياً رداء قاتم اللون أو أحمر قاتم.
- التلاميذ : كانوا يصُورن حول السيد المسيح من الجانبين ومن خلال الإنجيل يمكن أن نتصور أن الذى كان يجلس بجوار المسيح مباشرة هو يوحنا الحبيب وبجواره بطرس الرسول وذلك حسب إنجيل يوحنا "وكان مُتكأً فى حضن يسوع واحدٌ من تلاميذه، كانَ يسوع يحبه. فأومأ اليه سمعان بُطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذى قال عنه"[19] وكانت الرسل ترمز إلى الكنيسة وإلى الإيمان والشهادة.
- الخبز : يرمز إلى جسد المسيح ورمز للخلاص والحياة الأبدية.
- الكأس : هو الأناء المُستخدم فى ممارسة طقس العشاء الربانى ويحتوى على عصير الكرمة الذى يرمز إلى دم المسيح، ويسمى بالقبطية Bi-Avot وفى اليونانية Botiron وهى متوسطة الحجم ولها عنق تنتهى بقاعدة مستديرة،[20] وفى القرون الأولى للمسيحية كان من الممكن نقش حمل على أحد جوانب الكأس كرمز ليسوع المسيح.[21] وكان كأس الخمر (عصير الكرمة) فى مفهومه الرمزى يشير إلى الفرح والبهجة.
- المائدة أو المذبح : جلوس السيد المسيح على مائدة مع تلاميذه كان رمز للوحدة بين المسيح وكنيسته.

نتائج البحث:

- يتميز تكوين موضوع العشاء الربانى بالوحدة والكمال.
- كان تصوير موضوع العشاء الربانى نادراً فى التصوير الجدارى فى الكنيسة القبطية المبكرة، بينما كان شائعاً أكثر فى العصور الوسطى.
- يُمكن أن يصُور العشاء الربانى أمام السيد المسيح مائدة يجلس عليها مع تلاميذه واحياناً يصُور كمذبح وفى هذة الحالة يمثل هنا المسيح الكاهن.

- عدد التلاميذ المُصورة أثنى عشر على الرغم من أن الذين حضروا تأسيس العشاءالربانى هم أحد عشر تلميذاً فقط لأن يهوذا الاسخريوطى لم يحضر تأسيس السر وذك طبقاً لما ورد فى إنجيل يوحنا (13: 30) ولتفسير الاباء بل حضر فقط عشاء الفصح وليس العشاء الربانى وهناك فرق بين العشاء الربانى والفصح الذى هو عيد عند اليهود.
- تتميز الألوان المُستخدمة بأنها زاهية وغنية وترمز إلى الفرح والسعادة.

الصور:

تصوير العشاء الربانى فى حنية وادى سرجة

نقلاً عن :

R. O'Connell, Elisabeth, Discovery of Christian Egypt.The British museum. (2016), p.22.

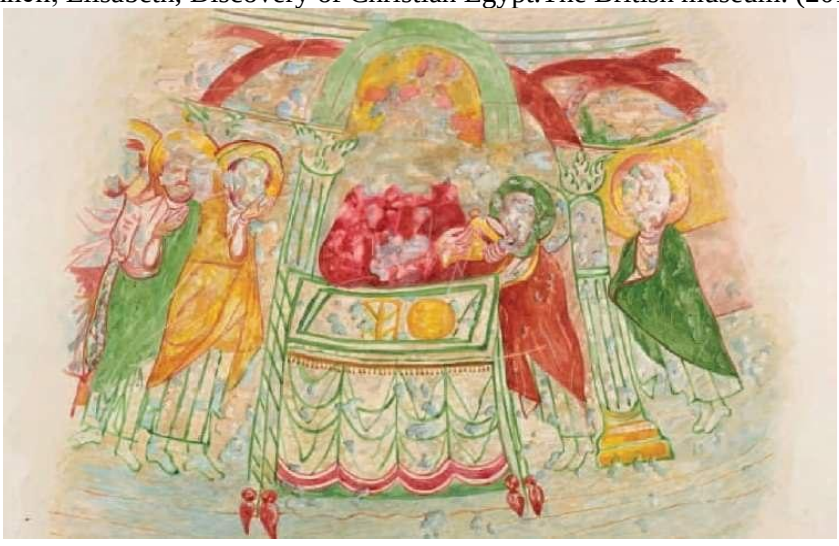

صورة توضح تفاصيل المشهد والكأس والخبز

نقلاً عن:

Gabra,Gawda, Coptic Civilization: Two Thousand Years of Christianity in Egypt.(2014), p. 162.

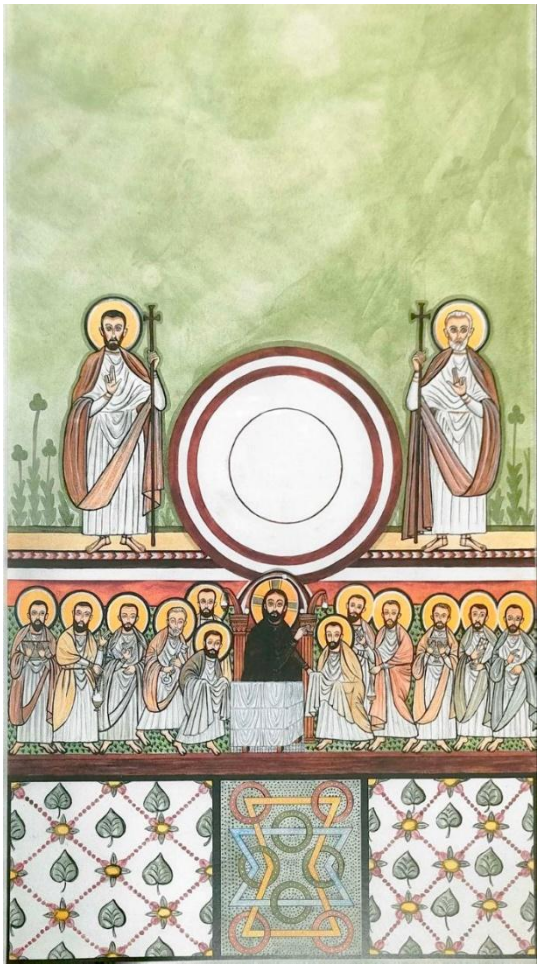

نسخة طبق الأصل من تصوير العشاء الربانى من الكنيسة الجنوبية فى باويط لفلورنس بليد عام 2007

نقلاً عن:

Françoise ,chaserant, une Autre égypte collection coptes du musée du louvre ,Italie,2009,p.165.

حواشي البحث:

(*)هذا البحث هو جزء من رسالة الماجستير المُسجلة للباحثة بعنوان: عمارة الحنية وزخارفها الفنية فى الكنائس الشرقية حتى نهاية القرن السابع الميلادى "تطبيقاً على الكنائس المصرية والسورية–دراسة فنية تحليلية"، تحت اشراف: أ.م.د/ مني جبر عبد النبي.

[1])Provence, Alpes-de-Haute, La Cène, Conservation des antiquités et objets d'art, Catalogue de l'exposition présentée à la cathédrale Saint-Jérôme à Digne-les-Bains,2015,p.9.

[2])Jonathan Benrubi, David, La Cène et les autres festins : brèves remarques sur l'iconographie des repas sacrés et profanes, © BREPOLS PUBLISHERS,2013,p.89.

[3]) مفهوم كلمة سر :كلمة سر فى العربية أصلها اليونانى mustrion وهى تعنى الشئ المخفى أو المستور والمرادف اللاتينى sanramentum ، الا انه يحمل فى أصله اتساعاً أكثر أما المفهوم اللاهوتى لكلمة سر وجمعها أسرار تفيد حقيقة ألهية ثابتة ومستقرة كانت مخفية منذ الدهور لانها فائقة على قدرة الانسان العقلية او على مستواه الروحى ثم أعلنها الله للرسل والقديسين ثم الكنيسة وذلك إما بوحى ألهى أو الهام فى رؤيا او وصية صريحة واضحة بتسليم كما صنع السيد المسيح مع تلاميذه فى العشاء الربانى.راجع: متى المسكين،الأب،الإفخارستيا عشاء الرب بحث فى الأصول الأولى لليتورجيا ومدخل لشرح القداس وتطوره من القرن الأول حتى عصرنا الحالى،مطبعة دير القديس الأنبا مقار،دير النطرون،2000،ص37.

[4])mostafa, Radwa,ali, Zeinab, The Depiction of Sacred Objects of Distributing the Holy Blood in Coptic Mural Painting, (JAAUTH), Vol. 21 No. 4, (December 2021), pp.34-57,p.43.

[5])mostafa,ali,(2021),p.43.

[6])R. O'Connell, Elisabeth, Discovery of Christian Egypt.The British museum. (2016), p.22.

[7]) جبرا، جودت، ڤان لوون، چ.م.جيروترود، الكنائس فى مصر منذ رحلة العائلة المقدسة إلى اليوم،القاهرة،2016،ص 33.

[8])كلارك، سومرز، . الاثار القبطية في وادي النيل دراسة في الكنائس القديمة ،ترجمة ابراهيم سلامة ابراهيم .القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010،ص269.

[9])mostafa,ali,(2021),p.43,44.

[10])Françoise ,chaserant, une Autre égypte collection coptes du musée du louvre ,Italie,2009,p.165.

[11]) Françoise,(2009),p.164.

[12])ك.ك.والترز، الأديرة الآثرية فى مصر، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2005،ص413.

[13])Bauer,Olivier, LA CÈNE : L'AVANT-DERNIÈRE, LA DERNIÈRE, LA PREMIÈRE, Institut lémanique de théologie pratique,2015,p.2.

[14])راجع: 1كو (11-25:23)

[15]) Bauer,(2015),p.2.

[16])راجع مت (26-28:26)

[17])راجع مر(14-24:22)

[18])راجع لو(22-20،19)

[19])راجع يوحنا (23:13).

[20])أسكندر ،ميخائيل مكسى،موسوعة طقوس الكنيسة القبطية،الجزء الأول،القاهرة، 1998،ص 37.

[21])Kilmartin s.j., Edward j.,The eucharist in the primitive church,united states of America,1965,p.160.